جريدة الانوار تاريخ ٢٠٠٨/٧/٢١

الحرية «جمال الابداع»

د. جوزيف مجدلاني

حين امسك القلم واخط بدموعه معاناتي، خبراتي، افراحي، احزاني، مشاعري وافكاري... اشعر بحرية ما بعدها حرية، حرية الفكر من عبودية التقاليد، وحرية المشاعر من سجون المادة!

حين امسك ريشة الرسوم وازين بألوانها صفحات الحياة، أُظهر ذاتي بأنفاسها ونبضاتها، بحركاتها وامواجها، بهدوئها وصخبها... اشعر بالحرية، حرية الذات من قضبان الانا، وحرية الخيال من قبضة الرتابة والتقليد واللزومية!

وحين الامس أصابع البيانو، وأداعب سكونها الهاجع بين خفايا الابيض والاسود، تصدح أنغام، إيقاعها نبضات قلبي، وموسيقاها غبطة روحي... فاحيا حرية لا تضاهيها حرية. حرية روح انعتقت من حدود المكان، وحرية وجود تفلّت من قيود الزمان!

حين ابصر طائراً يرتفع في الفضاء الشاسع، محلقاً نحو أفق النور... او ارى فراشة ترشف رحيق زهرة، وتستحم بعبير بنفسجة...

حين ارقب غديراً يدغدغ حصى ظنت أنها تقف في طريقه... او اشاهد شعاعاً ينطلق من قلب الشمس... يمتد ويتمدد ولا يتوقف، يخترق الاماكن والازمان، مكملاً طريقه، باثّاً دفاه دون ان يفقد حرارته...

حين ارى متسلقاً يتصعد في جبل، القمة تناديه والوصول يتوق اليه، تتجرح يداه، فيمسح دماءه ومعاناته، ويتابع الصعود نحو تلك القمة الشمّاء!

حين اشاهد كل هذا اشعر بالحرية. تلك الحرية التي تنعم بدفء الروح، وتهجع في اعماقها، ولا تتركها مخافة الفراق، او ربما مخافة عدم اللقاء بعد الفراق. لا ادري، لكنها الحرية!

حين ارقب الحياة تنبض في قلب كل مخلوق، تنبض في صميم الطبيعة وفي كل مكان. اشعر بحرية ما بعدها حرية!

قالوا في الحرية كلمات واوصافاً... نظموها في قصائد وابيات... تغنّوا بها، طالبوا بها، ناشدوها، حاكوها، توسلوا اليها، اقتتلوا باسمها، تاقوا اليها، رفعوها، قدسوها... لكن مفهوم الحرية منهم براء!

فالحرية لا تؤخذ او تُعطى. الحرية لا تُرى ولا تُمسك، الحرية هي الحياة. هي شعور الحياة الذي ينبض في عروق كل كائن ومخلوق. هي هنيهات السعادة التي يحياها كل انسان!

الحرية هي ان تشعر بالحرية ان كنت اسيراً في سجن، او متنزهاً في الطبيعة!

الحرية هي ان تتحسس الحرية ان كنت بعيداً عن نفسك، أو قريباً منها!

واخيراً، الحرية هي جمال الابداع، والوهية الكمال!

اشعر بالحرية كلما فكرت في الحرية، كلما افكر في الخالق والمخلوق... كلما افكر في الخالق، في محبة الخالق، في نظام الخالق، في اسرار الكون، في خفايا الانسان، في غوامض الوجود ومجاهل الطبيعة... اشعر بحرية تشرق من أعماقي، وتثير كياني، وتدفئ اوصالي.

وكلما اشعر بالحرية استشف مشاعر روحية سامية تتمدد من ذاتي... ربما الى حيث الوجود الالهي القاطن في الاعماق!